مجلة الناقد للدراسات السياسية | المجلد: 06/ العـدد: 01 (2022)، ص 595– 611

الدور الإستراتيجي لتركيا بالشرق الأوسط على ضوء أزمات الحراك العربي –سوريا أنموذجا–

The strategic role of Turkey in the Middle East in light of the crises of the Arab movement - Syria as a model-

عبد الكريم سبع[1]، إكرام بخوش [2]

[1] المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية (الجزائر)، seba.abdelkarim@enssp.dz

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، ikrambakhouchesp@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/15 تاريخ القبول: 2022/03/31 تاريخ النشر: 2022/04/18

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى الإجابة عن سؤال مهم وهو كيف يمكن تفسير الدور الإستراتيجي لتركيا في منطقة الشرق الأوسط إنطلاقا من التحولات التي شهدتها المنطقة منذ بداية موجة الحراك العربي؟ وعلى ضوء هذا السؤال تم التطرق إلى النظريات التي تلعب دورا رئيسيا في تشكيل الرؤية الاستراتيجية لتركيا تجاه الشرق الأوسط، خصوصا منذ تولي نخب حزب العدالة والتنمية مقاليد الحكم في تركيا سنة 2002 وأثر هذه المداخل النظرية على الدور الاستراتيجي لتركيا تجاه الشرق الأوسط منذ بداية الحراك العربي، كما يهدف إلى البحث في الدور الاستراتيجي لتركيا تجاه سوريا التي وقع عليها الاختيار استنادا إلى مجموعة من المحددات، وهي المحدد الجغرافي والمحدد التاريخي والمحدد الحضاري. وقد اتضح من خلال ما تم التطرق له في هذا المقال أن العثمانية الجديدة تعتبر المدخل النظري الرئيسي الذي تتحرك وفقه تركيا في استراتيجيتها بمحيطها الاقليمي اضافة إلى مجموعة من الأسس التي أوردها داوود أوغلو في كتابه العمق الاستراتيجي، كما أن هناك مجموعة من المحددات التي تتحكم في استراتيجية تركيا في الشرق الاوسط وقد برز دور هذه المحددات منذ اندلا ع موجة الحراك العربي سنة 2011 سيما في سوريا.

كلمات مفتاحية: الاستراتيجية، تركيا، الشرق الاوسط، الحراك العربي، سوريا.

Abstract:

This article aims to answer an important question, which is how to explain Turkey's strategic role in the Middle East, based on the transformations that the region has undergone since the beginning of the Arab movement? In light of this question, the theories that play a major role in shaping Turkey's strategic vision towards the Middle East were discussed, Especially since the elites of the Justice and Development Party took over the reins of power in Turkey in 2002 and the impact of these theoretical approaches on Turkey's strategic role towards the Middle East since the beginning of the Arab movement, it also aims to research the strategic role of Turkey towards Syria, which was chosen based on a set of determinants, namely The geographical determinant, the historical determinant, and the cultural determinant. It has become clear through what has been discussed in this article that neo-Ottomanism is the main theoretical entry on which Turkey moves in its strategy in its regional environment, in addition to a set of foundations mentioned by Davutoglu in his book Strategic Depth, There is also a set of determinants that control Turkey's strategy in the Middle East, and the role of these determinants has emerged since the outbreak of the Arab movement in 2011, especially in Syria.

Keywords: The strategy; Turkey; Middle east; Arab movement; Syria.

المؤلف المرسل: عبد الكريم سبع، **الإيميل**: seba.abdelkarim@enssp.dz

مقدمة:

على مدار 600 سنة من تأسيسها استطاعت الدولة العثمانية وقبل انهيارها بسط نفوذها على مناطق عدة من العالم إنطلاقا من شمال إفريقيا إلى آسيا الوسطى ومن الشرق الأوسط إلى أوروبا الشرقية. وقد كانت منطقة الشرق الأوسط إحدى أهم الدوائر التي لعبت بها الدولة العثمانية دورا كبيرا، حيث إستطاعت بسط نفوذها على كامل المنطقة تقريبا وخصوصا المناطق العربية منها، قبل أن تبرز الحركات القومية العربية وتدخل الدولة العثمانية في سلسلة من الحروب الدامية مع الدول الأوروبية، إضافة إلى تنامي الخلافات الداخلية خصوصا بعد بروز التيار العلماني داخل الدولة ما أدى إلى تراجع الدور العثماني في جميع الدوائر التي كانت تحت نفوذه بما فيها الشرق الأوسط، ليتلاشى نهائيا مع وصول مصطفى كمال أتاتورك بإعلانه نهاية الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية، وبذلك انكفأت تركيا على شؤونها الداخلية إلى غاية عام 2002م الذي شهد وصول نخب جديدة إلى الحكم متمثلة في حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان وأحمد داوود أوغلو وعبد الله غول، حيث عمل هذا التيار على إعادة بعث نشاط تركيا في المحيط الخارجي خصوصا الشرق الأوسط حيث سعت إلى تقمص شخصية القطب الإقليمي بالمنطقة .

وقد تصاعد الدور التركي أكثر بعد التحولات الكبيرة التي شهدتها وتشهدها المنطقة بدءاً من ظهور موجة الحراك الشعبي للمطالبة بإصلاحات سياسية، خصوصا في سوريا حيث كان للمآلات التي آلت إليها الثورة السورية انعكاسات كبيرة سيما على الصعيد الاقليمي وتجاه تركيا تحديدا سواء على المستوى الداخلي وبالخصوص على الصعيد الأمني أو على المستوى الخارجي فيما تعلق بعلاقات تركيا الخارجية، وسيتم التطرق لهذه القضايا المهمة على ضوء الإشكال التالي:

كيف يمكن تفسير الدور الإستراتيجي لتركيا في منطقة الشرق الأوسط إنطلاقا من التحولات التي شهدتها المنطقة منذ بداية موجة الحراك العربي؟

وللاجابة على سؤال الاشكالية المطروح سيتم التحقق من صحة الفرضية الآتية:

كلما حدث تغير على مستوى الشرق الأوسط كلما انعكس ذلك على الدور الاستراتيجي لتركيا في منطقة الشرق الأوسط.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الموضع قيد الدراسة هو أنه يسلط الضوء على فاعل إقليمي مهم في منطقة الشرق الأوسط والمتمثل في تركيا، التي اخذ دورها في التصاعد منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى سد الحكم سنة

2002 الذي تطمح قياداته إلى إعادة الدور الاقليمي والعالمي لتركيا، وهذا عبر لعبها لأدوار مهمة في محيطها الجيوسياسي(الشرق الأوسط على وجه الخصوص) وفي سبيل ذلك عملت تركيا على توظيف جميع التطورات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط بداية من غزو العراق وصولا إلى الحراك العربي في صالح ذلك الهدف، كما تكمن أهمية هذا المقال في أنه يوفر إضافة أكاديمية للباحثين المتخصصين في الشأن التركي أو الذين يريدون البحث في هذا الموضوع.

أهداف الموضوع:

يهدف هذا المقال إلى مجموعة من الأهداف من بينها تحديد المرتكزات النظرية التي تستند عليها تركيا في استراتيجيتها بمنطقة الشرق الأوسط اضافة إلى ضبط أهم المحددات التي تؤثر على الدور الاستراتيجي التركي في منطقة الشرق الأوسط، اضافة إلى معالجة التحولات التي شهدها الدور الاستراتيجي لتركيا بمنطقة الشرق الأوسط على ضوء الحراك الذي شهده الشارع العربي مع بداية العقد الثاني من القرن الـ21م مع التركيز على سوريا وهذا لاعتبارين مهمين وهما:

1- سوريا واحدة من دول الشرق الأوسط التي تأثرت بموجة الحراك الشعبي التي شهدها الشارع العربي.

2- إرتباطها مع تركيا بمجموعة من المحددات ذات البعد التاريخي والحضاري والجغرافي على اعتبار أنها من بين الدول التي تملك حدود مشتركة مع تركيا.

أولا: المرتكزات النظرية للدور الإستراتيجي لتركيا في الشرق الأوسط.

في هذا المحور سيتم التطرق إلى المداخل النظرية المتحكمة في الدور الاستراتيجي لتركيا، سيما نظرية العثمانيين الجدد بالاضافة إلى مجموعة من الأسس والتي أوردها رئيس وزراء تركيا الأسبق أحمد داوود أوغلو في كتابه العمق الاستراتيجي.

1. نظرية العثمانيين الجدد:

العثمانية الجديدة هي عبارة عن نهج تبناه كوادر حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان غداة بروزهم في المشهد السياسي التركي عام 2002م، بحيث ترى هذه النظرية أن سبب تخلف تركيا هو القطيعة مع التاريخ العثماني والعمق الإستراتيجي الحيوي[1].

وبالعودة إلى التأصيل النظري لهذه النظرية نجد أنها ضاربة في التاريخ بحيث ظهر العثمانيون الجدد **Yeni Osmanlir** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويطلق عليهم كذلك توصيف الشباب العثماني

Young Ottoman، وقد وصفهم البعض بأنهم أول "مجموعة ضغط شعبية إسلامية إستهدفت إرغام الدولة على أخذ مصالحهم بعين الإعتبار". وقد كان العثمانيون الجدد من موظفي الحكومة وأبناء الأسر البارزة بالدولة العثمانية، بحيث تلقوا تعليمهم في المدارس العثمانية الحديثة وأُرسلوا للخارج لمزاولة تعليمهم وقد كان من أبرزهم محمد بيك الذي تلقى تعليمه في باريس وعاد مشبعا بالأفكار الغربية، نوري بيك ورشاد بيك بالإضافة للأديب والشاعر نامق كمال وآية الله بيك الذي ينتمي إلى أسرة معروفة وحظي بتعليم إستثنائي في جميع جوانبه جامعا بين الثقافتين الشرقية والغربية بالإضافة لرفيق بيك صاحب جريدة المرآة[2].

وأحسن توصيف أُطلق عليهم كان وصفهم كجماعة ليبيرالية سياسية ومحافظة دينيا، بحيث سعوا إلى إيجاد مصادر إسلامية للأفكار المراد إدخالها للدولة العثمانية وإلباسها لباسا إسلاميا بإستخدام تعابير دينية، وقد تمثلت مطالبهم الرئيسية في :

1- الحرية السياسية وحق المواطنين في ممارستها ضمن حدود القوانين والشرائع .

2- التأكيد على أهمية الدستور الذي يجب أن يكون ضد كل نظام إستبدادي سواء كان ممثلا في السلطان الأعظم أو وزرائه.

3- إقامة حكم يفسح المجال أمام الشعب للمشاركة في تشريع القوانين وتحمل مسؤولية الحكم من خلال برلمان منتخب والتحرر من السيطرة الأجنبية وأكدوا على المظاهر التقدمية للإسلام[3].

وقد تم تعطيل أنشطة هذه الجماعة من قبل السلطان عبد العزيز ومطاردة أعضائها وإغلاق صحفهم، بحيث إستكملوا نشاطهم في الخارج من باريس وأسسوا منظمة جمعية الشباب المثقفين إلى أن سُمح لهم بالعودة إلى إسطنبول أين حققوا العديد من الإنجازات التي كان أبرزها صدور فتوى شيخ الإسلام بجواز عزل السلطان عبد العزيز وإستخلافه بمراد الخامس الذي عزل فيما بعد وأستبدل بالسلطان عبد الحميد الثاني وقد عمل العثمانيون الجدد على توليته شرط العمل بالدستور وأحاطوه بمستشارين أشهرهم نامق كمال بهدف جعل الخليفة يملك ولا يحكم[4].

وقد خفت صوت العثمانيون ردحا طويلا من الزمن خصوصا بعد إعلان نهاية الخلافة العثمانية من قبل كمال أتاتورك، وقد عادت المناظرة حول المفهوم السياسي العثماني الجديد غداة تفكك الإتحاد السوفياتي عندما إنفتحت فجأة تركيا أمام عوالم جديدة من البلقان إلى القوقاز وآسيا الوسطى مرورا بالشرق الأوسط،

وبرزت الحاجة إلى إستلهام الصيغة العثمانية المتعددة القوميات علاجا للفورة القومية الإثنية ولظاهرة التطهير العرقي في البيئة الجيوسياسية المحيطة بتركيا وقد عُرفت هذه الحركة في تلك الفترة بإسم حركة التوليف الإسلامي وقد تبناها الرئيس التركي السابق تورغت أوزال[5].

2. أسس الدور الاستراتيجي التركي:

منذ صعود حزب العدالة والتمية الإسلامي إلى سدة الحكم في تركيا عام 2002م باشر بالعديد من الإصلاحات السياسية التي كان لها الأثر البالغ في تغيير الصورة السياسية لتركيا نظريا وعمليا خصوصا على الصعيد الخارجي، حيث عمل قادة الحزب على إعادة هيكلة السياسة الخارجية التركية وجعلها سياسة ذات طابع متعدد الأبعاد والأهداف على عكس الفترة السابقة التي حاولت عزل تركيا عن محيطها الخارجي خصوصا إزاء الدوائر الجيوسياسية المحيطة بها (منطقة الشرق الأوسط والقوقاز وآسيا الوسطى)، حيث تم تغيير خارطة عمل السياسة الخارجية التركية عبر مجموعة من الإصلاحات السياسية وأهمها تحييد دور المؤسسة العسكرية وإعطائها دور إستشاري قبل أن يتم إبعادها عن الحياة السياسية نهائيا وفق دستور عام 2010م. بالإضافة لهذا فقد تم صياغة الأسس التي يجب أن تسير عليها السياسة الخارجية التركية والتي شكلت فيما بعد اللبنة الأساسية للدور الإستراتيجي التركي على الصعيد الإقليمي وتتحدد هذه الأسس في:

1.2– العمق الإستراتيجي: وهي نظرية تقوم على رفض التوصيفات الغربية لتركيا كدولة هامشية وطرفية في النظام العالمي، وإنتقاد السياسات الخارجية والأمنية التركية منذ إنشاء الجمهورية التي أدت إلى إنعزالها وحرمانها من العديد من دوائر نشاطها، وقلصت مكانتها إلى دولة جناح بإعتبارها حزء من الجناح الجنوب الشرقي لحلف الناتو خلال الحرب الباردة وصولا إلى وصفها بالدولة الممزقة و الطرفية من قبل هنتغتون. حيث يربط أحمد داوود أوغلوا فيها بين المكانة الدولية لتركيا والدور الإقليمي الذي تلعبه تركيا في محيطها الإقليمي، فهو يوضح أن تركيا كلما لعبت دور كبير في محيطها الإقليمي كلما ساهم ذلك في رفع مكانتها على الصعيد الدولي وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط وهذا وفق نظرية القوس والسهم[6].

وبالتالي تستند هذه الرؤية على إستحضار الإرث التاريخي والحضاري للدولة العثمانية – سيتم التطرق له بالتفصيل في المحور القادم– بالمنطقة وإعادة تعريف مصالح البلاد القومية والإستراتيجية، ما يقود إلى ضرورة النظر لتركيا بصفة كونها قوة إقليمية كبرى تتحرك دبلوماسيتها النشطة في إتجاهات عدة محورها الإنخراط المتزايد في شؤون المناطق الإقليمية خصوصا الشرق الأوسط على قاعدة التقارب مع العرب والمسلمين.

2.2– تصفير المشاكل: يؤكد منظروا حزب العدالة و التنمية التركي و على رأسهم أحمد داوود أوغلو بأن الشرط الأساسي لصياغة سياسة خارجية قوية تحقق المصالح هو يجب تقليل الخصومات والعداءات وخصوصا مع الدول المجاورة وفق لعبة صفرية تكون فيها كل الأطراف مستفيدة[7]. وقد أعتبره احمد داوود أوغلو نموذجا مثاليا ويمثل تغييرا في نهج وعقلية السياسة الخارجية التركية، حيث لم تعد المشاكل المزمنة تهيمن على أجندة السياسة الخارجية التركية مع الدول المجاورة لها والتي إستهدفت طاقاتها في علاقاتها الدولية والإقليمية[8].

التحدي الكبير الذي واجهته وتواجهه هذه النظرية حسب أحمد داوود أوغلو والنخب الحاكمة في تركيا هو عدم القدرة على الصمت أمام من يرفض تلبية الحقوق الأساسية لشعبه و ينتهج الطرق والأساليب القمعية في ذلك[9]، في إشارة واضحة للدول التي تشهد حراكا شعبيا للمطالبة بالإصلاحات خصوصا مع الجارة سوريا والتي عملت ردحا طويلا من الزمن على تطوير علاقتها معها وخصوصا مع النظام السوري عبر تجاوز كل العقبات والمشاكل العالقة بين البلدين .

2.3– القوة الناعمة: وتعتبر القوة الناعمة من الأسس التي ترتكز عليها السياسة الخارجية التركية، بحيث إستندت مع دول المحيط (الجوار) وخصوصا الشرق الأوسط على العامل الإقتصادي–عبر توظيف الإنتعاش الذي شهده الإقتصاد التركي منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة– والثقافي –عبر تعميم النمط التركي في الحياة عبر وسائل الإعلام والتعليم...الخ– و عملت على إستبعاد العامل العسكري[10].

ويعود سبب إستعمال القوة الناعمة ولا سيما الثقافية في السياسة الخارجية إلى رغبة النخب الحاكمة في إحياء تركيا العثمانية والميراث العثماني وفق رؤية عثمانية جديدة، أين يجب الإستناد فيها إلى وسائل القوة الناعمة بالأقاليم العثمانية وخصوصا المناطق التي تملك بها تركيا مصالح قومية[11].

ثانيا: محددات الدور الإستراتيجي لتركيا في الشرق الأوسط.

هناك مجموعة من المحددات التي تساهم بشكل فعال في تحديد الدور الاستراتيجي لتركيا في الشرق الأوسط، سيما منذ وصول نخب حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم سنة 2002 والتي عملت على توظيف هذه المحددات في اعادة بعث الدور الاستراتيجي لتركيا والتي سيتم التطرق لها بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

1. المحدد الجغرافي:

تعد تركيا من أبرز الدول التي سعت إلى إستغلال موقعها الجغرافي المتاخم للعديد من البؤر والدوائر الجيوسياسية في صياغة إستراتيجيتها الجديدة في ظل حكم حزب العدالة والتنمية التي تسعى تركيا من خلالها

إلى التحول لقوة عالمية، والذي لن يكون إلا عبر إعادة بعث نشاطها عبر هذه الدوائر الجيوسياسية المتمثلة في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة القوقاز ومنطقة آسيا الوسطى .

وفلكيا تقع تركيا في النصف الشمالي من الكرة الأرضية على خط الطول من 36 إلى 42 درجة شمالا، وخط العرض من 26 إلى 45 درجة شرقا في شكل مستطيل بعرض مقدر بـ 5550 كلم وطول يقدر بـ 1500 كلم[12]. وتحتل تركيا بموقعها الوسيط بين قارتي أوروبا وآسيا قلب المجال الجغرافي المصطلح على تسميته بـ "أوراسيا". بحيث يقع النصف الأكبر من مساحتها في قارة آسيا بنسبة تقدر بـ 97% ، بينما 3% من مساحتها تقع في قارة أوروبا، ويفصل بين جزئيها الآسيوي والأوروبي مجموعة من أهم الممرات المائية في تركيا خاصة وبالشرق الأوسط والعالم عموما وهي مضيقا البوسفور والدردنيل إضافة إلى كل من بحر إيجة ومرمره[13].

ويبلغ إجمالي مساحة تركيا 779.452 كلم^2، وهي تقع على حدود واحدة مع كل من؛ أرمينيا بطول حدودي يقدر بـ 268 كلم و أذربيجان بـ 9 كلم وبلغاريا بـ 240 كلم وجورجيا ب 252 كلم واليونان بـ 200 كلم وإيران بـ499 كلم والعراق بـ352 كلم وسوريا بـ 822 كلم[14]، أما فيما يخص حدودها المائية فتركيا تحدها المياه من ثلاث إتجاهات؛ البحر الأسود في الشمال و بحر إيجة في الغرب والبحر الأبيض المتوسط في الجنوب، أين يصل بين هذه البحار كما ورد سابقا مضيقين رئيسيين وهما مضيق البوسفور بالشمال ومضيق الدردنيل في الجنوب الغربي[15].

وبالتالي فان الموقع الجغرافي المميز لتركيا بقلب العالم يجعلها مؤهلة إلى لعب دور استراتيجي كبير وخصوصا إقليميا، فلطالما كان الموقع الجيوسياسي لتركيا محدد رئيسي لسلوكها الخارجي خصوصا بعد تولي حزب العدالة والتنمية مقاليد الحكم، وما ينطوي عليه هذا الموقع المتميز من مضامين سياسية وإقتصادية وإجتماعية وعسكرية.

حيث سعى صناع القرار في ظل فترة حكم حزب العدالة والتنميةإلى تغيير وجهات النظر والمقاربات المتعلقة بالوضع الجيوسياسي لتركيا، بما في ذلك النظر إلى الوضع الجيوسياسي كأداة إستراتيجية توجهها فكرة الدفاع عن الحدود والحفاظ على الوضع الراهن – أحمد داوود أوغلوا يتحدث في هذه الفكرة عن الإستراتيجية الإنطوائية التي إنتهجها مصطفى كمال أتاتورك و من خلفوه من أجل عزل تركيا عن محيطها الخارجي- بل يجب رؤيته كأداة للإنفتاح على العالم ضمن خطوات مرحلية من أجل تحويل التأثير الإقليمي إلى تأثير دولي[16].

2. المحدد التاريخي:

من الناحية التاريخية شكلت تركيا نقطة تقاطع لمختلف الحضارات العريقة، فقد كانت إسطنبول عاصمة لثلاث حضارات كبيرة بدءاً بالرومانية مروراً بالبيزنطية وإنتهاءً بالخلافة العثمانية. حيث كانت تركيا نقطة إنطلاق لمختلف هذه الحضارات نحو سائر المناطق والدول و خصوصا إتجاه منطقة الشرق الأوسط[17]. ويعود الإرتباط الحقيقي لتركيا بمنطقة الشرق الأوسط إلى الفترة العثمانية، خصوصا بعد إتجاه القوى الدولية في تلك الفترة نحو مناطق أخرى من العالم وتحديدا إلى العالم الجديد – القارة الأمريكية– ما جعل منطقة الشرق الأوسط محط أنظار الخلافة العثمانية التي لم تفوت فرصة التوسع جنوبا نحو المنطقة، وقد كان لفتح القسطنطينية التي تحولت إلى عاصمة للخلافة العثمانية تحت إسم استانبول وإلحاق الهزيمة بإيران والاستيلاء على ولاية المماليك في سوريا منعرجا حاسما في سيطرة تركيا على المجال العربي (منطقة الشام والخليج) التي إستمرت إلى غاية بدايات القرن العشرين[18].

وتقوم الإستراتيجية التركية الجديدة على الاستعانة بالبعد التاريخي وإحياء إرتباطاتها بالمناطق التي كانت تحت سلطتها أثناء الخلافة العثمانية، ومن بين الأدلة على أن البعد التاريخي سيكون له الدور الكبير في إنجاح الإستراتيجية التركية، هو إستحضار الدكتور **أحمد داوود أوغلوا** في نظريته العمق الاستراتيجي مثالا عن أثر المرجعية الحضارية لأي مجتمع في معادلة قوة أي بلد قائلا:

" ... إن ثقل ميراث التاريخ العثماني للدولة التركية، الذي يعتبر أحد المعطيات الثابتة بالنسبة لتركيا، قد تغير بشكل أكثر أهمية مما كان عليه في مرحلة الحرب الباردة، ليصبح أكثر فاعلية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وهو ما أدى إلى توجه تركيا لأن تتبع سياسة أكثر فعالية سواء في منطقة البلقان أو القوقاز..."[19].

وإعتماد تركيا على الميراث العثماني منذ تولي حزب العدالة والتنمية الحكم، سيجعلها تواجه مسؤوليات وخصوصا إتجاه المناطق التي تقع ضمن هذا الميراث. وقد تفتح هذه المسؤوليات آفاقا وإمكانيات جديدة للسياسة الخارجية التركية، وستكون الأكثر تأثيرا في شكل الذهنية الإستراتيجية التركية وهويتها في المراحل المقبلة.

3. المحدد الحضاري:

يستند الدور الإستراتيجي التركي المتصاعد إقليميا وخصوصا بمنطقة الشرق الأوسط على مجموعة من المحددات الحضارية المرتبطة بالبعد المجتمعي وخصوصا ما تعلق منها بالجانب العرقي وكيف قامت تركيا

بتسخيره خدمةً لإستراتيجيتها القومية، دون إغفال المحدد الإيديولوجي (الثقافة والدين) الذي يعتبر روح الإستراتيجية التركية الجديدة منذ عام 2002م.

فيما يتعلق بالبعد المجتمعي فتركيا تتمتع بتعدد عرقي وإثني كبيرين فعلى الرغم من سياسة **كمال أتاتورك** التي حاولت القضاء على هذا التعدد العرقي والتي كان لها الدور الكبير في إستقرار تركيا مدة طويلة من الزمن، إلا أن الإعتراف بهذه الأقليات في تركيا وخصوصا في عهد حزب العدالة والتنمية قد كان له أثر كبير مؤسس لنموذج الدولة القوية المتعددة الأعراق و الأديان[20].

والأتراك يمثلون الأغلبية ثم يليهم الأكراد الذين يشكلون خمس سكان البلاد ويعتبر الأكراد الأقلية الأكبر مقارنة بالأقليات الأخرى، أما باقي النسبة من عدد السكان تتوزع بين أقليات عرقية أخرى هي: العرب والزازيون والشركس والجورجيون والأرمن واليونان والألبان والأشوريين والآراميون والبوسنيون والشيشانيون والبلغاريون واللازيون والروس والألمان والاستونيون والرومانيون ومجموعات عرقية من قفقازيا وأوزبك وقيرغيز وقازان وتتارو أذريين وغيرهم[21].

وهذا التعدد العرقي يعطي تركيا هامش من المناورة في الدوائر الجيو – سياسية المحيطة بها و خصوصا في منطقة الشرق الأوسط. فقد أعطى هذا التعدد تركيا المزيد من فرص الإنفتاح على العالم التركي فالقومية التركية منتشرة على أزيد من 30 دولة في أوراسيا بتعداد يفوق 46 مليون نسمة في مجملها[22].

وفيما يتعلق بالبعد الديني والثقافي فقد كان له حيز ضمن الإستراتيجية العثمانية الجديدة التي تبناها حزب العدالة و التنمية التي إعتمد فيها على الروابط الدينية والثقافية العميقة بين الشعب التركي والشعوب المجاورة له، وقد عملت تركيا على تسخير هذا البعد خدمة لإستراتيجيتها القومية الجديدة خاصة مع العالم العربي السني مع العلم أن 99% من الأتراك هم مسلمون سنة، وقد عملت تركيا على تعميق روابطها الثقافية والدينية إتجاه المنطقة من خلال البث الفضائي للقنوات التركية الناطقة بالعربية من أجل التعريف بالثقافة التركية ونشر المسلسلات التركية، بالإضافة إلى فتح مدارس تركية ومراكز ثقافية في العديد من الدول العربية[23].

ثالثا: الدور الإستراتيجي لتركيا على ضوء الأزمة السورية.

تم تخصيص هذا المحور لدراسة الدور الاستراتيجي لتركيا تجاه الشرق الأوسط منذ بداية الحراك العربي سنة 2011 مع التركيز على الأزمة السورية نظرا لمجموعة من المحددات ذات البعد التاريخي والجغرافي وكذا الحضاري وهو ما جعل تركيا تولي الملف السوري أهمية كبيرة مقارنة بالملفات الأخرى.

1. قراءة في أحداث الأزمة السوري:

تعتبر الأزمة السورية من أخطر الأزمات التي شهدها القرن الحادي والعشرين، ففي البداية كانت عبارة عن مجموعة من الإحتجاجات في مدينة درعا ضد النظام السوري، وقد كانت إمتداد للحراك الشعبي الذي شهدته المنطقة للمطالبة بمجموعة من الإصلاحات، ومن ثم إنتشرت الإحتجاجات لباقي المدن والبلدات الساحلية والشمالية نتيجة السياسات الإقتصادية المتبعة والقمع الذي تعرض له أبناؤها، وقد إتسع نطاق الحركة الإحتجاجية وتصاعد سقف شعاراتها لتصل إلى مطالب "إسقاط النظام" الذي نزل الحركة الإحتجاجية في خطاب المؤامرة والصهيونية والتدخل الخارجي[24].

لكن الأحداث فيما بعد أخذت منحى آخر ودخلت سوريا واقع جيواستراتيجي جد معقد، أين أخذت أبعاد إقليمية ودولية من أجل فرض أجندات معينة وخلق واقع جيواستراتيجي جديد، والمآلات التي أخذتها الاحداث فيما بعد تؤكد على هذا الشيئ.

وقد قدم العديد من الباحثين تحليلات للأزمة السورية والصراع الدائر هناك، فقد أوضح البعض أن الصراع في سوريا يعود في الأصل إلى الغاز الطبيعي نظرا لتصادم مشروعين للغاز الطبيعي، المشروع القطري المدعوم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية الذي يقوم على نقل الغاز القطري إلى أوروبا، عبر حمص بسوريا وهو الذي سيمنح كل من تركيا وإسرائيل إمتيازات إستراتيجية في معادلة تجارة الغاز العالمية بالإضافة إلى حاجتهما الشديدة لهذا المصدر الطاقوي. أما المشروع الثاني فهو المشروع الإيراني الذي يقوم على مد أنبوب من إيران إلى حمص عبر العراق ليتفرع إلى كل من اللاذقية (سوريا) وطرابلس (لبنان)[25]. – تجدر الإشارة إلى أن مشروع الغاز القطري كان يعتبر بديلا للغاز الروسي بالنسبة لأوروبا وبالتالي التخلص من التبعية لروسيا– .

كما أكدت الباحثة بسمة ماجد بمركز حمورابي للدراسات قائلة "...**الصراعات المشتعلة اليوم وخصوصا بسوريا وإن بدت في ظاهرها صراعا عسكريا وسياسيا فإنها بالأصل صراع من أجل النفط والغاز الطبيعي...**"[26].

وقد فوت رفض النظام السوري لمشروع الغاز القطري فرصة ذهبية على تركيا لتتحول إلى شريان للطاقة بالنسبة لأوروبا، وهو ما من شأنه أن يوطد العلاقات أكثر بين تركيا والإتحاد الأوروبي وبالتالي إعطاء دفع

قوي من أجل إنضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي، ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية التي تقف خلف تغير الإستراتيجية التركية إتجاه سوريا والوقوف في صف المعارضة وتقديم الدعم للجيش السوري الحر من أجل إسقاط النظام السوري وإستقدام نظام آخر يكون أكثر توافقا مع المصالح التركية بالمنطقة سيما وأن تركيا تسعى إلى إعادة إحياء أمجادها العثمانية بالمنطقة .

2. تطورات الموقف التركي من الأزمة السورية:

بالعودة لتطور العلاقات التركية – السورية فقد إتسمت العلاقات بين البلدين قبل وصول حزب العدالة والتنمية إلى سد الحكم بالإضطراب والتوتر بسبب بعض القضايا الخلافية مثل لواء الإسكندرون، ومشروع جنوب شرق الأناضول **GAB**، إضافة إلى الملف الكردي وإتهام تركيا لسوريا بتوفير الملاذ الآمن لبعض عناصر حزب العمال الكردستاني[27]. ولكن العلاقات شهدت تطوراً كبيرا نحو الأحسن بعد وصول حزب العدالة والتنمية لسدة الحكم وهذا نتيجة لسببين رئيسيين:

- إستراتيجية حزب العدالة والتنمية التي تقوم على تصفير المشاكل مع دول الجوار.
- الحرب الأمريكية على العراق التي جعلت البلدين في خندق واحد ما يستدعي منهما التنسيق على أعلى المستويات لمواجهة تداعياتها.

لكن العلاقات التركية– السورية شهدت تحد جديد وهو الأخطر في تاريخ العلاقات بين البلدين، وهذا بعد موجة الحراك التي شهدها الشارع السوري للمطالبة بمجموعة من الإصلاحات قبل أن تأخذ الأحداث فيما بعد مسارا آخر وتتحول إلى أزمة سياسية ذات أبعاد إقليمية و دولية.

الموقف التركي من الأحداث في سوريا في بداية الأمر كان مترددا للعديد من الإعتبارات وقد إقتصر دور تركيا في البداية على دعم العمل السياسي من أجل التوصل إلى تسوية للشأن السوري، حيث كان موقفها وسيطا خصوصا وأنها ترتبط مع نظام بشار الأسد بعلاقات كبيرة خصوصا على الصعيد الإقتصادي وقد إمتدت هذه المرحلة من مارس 2011م إلى مارس 2012م حيث طالبت نظام الأسد لاحقا بضرورة التعجيل بالإصلاحات والتوقف عن قتل المواطنين وسحب الدبابات من المدن السورية وإعادة الجيش إلى ثكناته، وقد تغير الخطاب التركي بصفة كبيرة لدرجة توجيه أردوغان خطاب شديد اللهجة يقول فيه:"...**ما يحدث في سوريا يشكل فضائع لا يمكن السكوت عليها**..."[28].

وبعد مجموعة من الرسائل والتهديدات حسمت تركيا قرارها بدعم فصائل المعارضة، ونادت بضرورة سقوطه وحق الشعب السوري في إختيار قيادته أين إتجهت سوريا إلى إستضافة اللاجئين ومؤتمرات المعارضة السورية وفرض عقوبات على النظام السوري....إلخ [29]. ومع ذلك فقد شهد الموقف التركي تعديلا مع نهاية عام 2012م بعد فشل تركيا في إقامة منطقة آمنة للاجئين السوريين ويعود هذا للعديد من الإعتبارات الداخلية والخارجية:

1/ داخليا: تعالت أصوات المعارضة للسياسة التركية وتدخلها بالشأن السوري – مساندة العلويين الأتراك لموقف النظام السوري وإستخدامهم كورقة ضاغطة على حكومة أردوغان إلى جانب الأكراد ..إلخ.

2/ خارجيا: عدم وجود إستعداد دولي لتدخل عسكري في سوريا وتهيئة مظلة أمنية – إرتباط تركيا بمصالح مع الدول الداعمة لنظام الأسد خصوصا روسيا وإيران اللذان يعتبران من الموردين الرئيسيين لتركيا في مجال النفط والغاز- تعذر صدور قرار من مجلس الأمن يحيل القضية السورية على نص الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة[30].

بعد ذلك تغير الدور التركي من المبادرة إلى الدفاع وهذه المرحلة بدأت من إسقاط أنقرة للمقاتلة الروسية – تجدر الإشارة هنا أن العلاقات التركية الروسية شهدت توترا حيث صرح أردوغان أن الطائرة الروسية قد إخترقت الأجواء التركية، وقد إستمر تشنج العلاقات إلى غاية المحاولة الإنقلابية التي شهدتها تركيا حيث عمل أردوغان على ترطيب الجو مع روسيا خصوصا بعد توتر علاقته مع الغرب أين إتهم أردوغان الطيارين الذين أسقطا المقاتلة الروسية بأنهم على علاقة بتنظيم فتح الله غولن وهو ما يؤكد براجماتية السياسة التركية- ، حيث فقدت تركيا أي أمل في إحداث إختراق كبير في الحالة السورية فيما يتعلق بإسقاط النظام أوترجيح كفة المعارضة، وأصبح شغلها الشاغل حماية حدودها وأمنها القومي من تطورات الأزمة السورية[31].

3. أكراد سوريا و الأمن القومي التركي:

يشكل موضوع الاكراد تحد كبير بالنسبة لتركيا وأمنها القومي ولطالما كان موضوع خلاف ولسنوات طويلة بين تركيا وسوريا، وقد عاد هذا الملف إلى الواجهة بعد الأحداث الدامية التي بدأت تشهدها سوريا، أين تحول الملف الكردي إلى ورقة في يد النظام السوري للضغط على تركيا سيما بعد إعلان تركيا دعمها لفصائل المعارضة حيث صرح أحد مصادر النظام السوري قائلا:"...**ماذا لو إستضافت سوريا حزب العمال الكردستاني في مؤتمر على أراضيها مثلما تفعل تركيا مع المعارضة السورية**..."[32].

وقد تعاظم الخطر الكردي فيما بعد ببروز مشروع يجعل المناطق الشمالية والشمالية الشرقية منطقة حكم ذاتي للأكراد، وقد لعبت روسيا دورا في هذا الصدد كخطوة لإستكمال مسيرة إنسحاب النظام السوري من المناطق ذات الأغلبية الكردية وتسليمها لوحدات حماية الشعب، وهو ما يشكل ضربة قوية لتركيا ولأمنها القومي حيث سيؤدي إلى وصل الكانتونات الكردية التي أنشأها صالح مسلم (الإتحاد الديمقراطي الكردي) والذي من شأنه أن يؤجج مشاعر أكراد تركيا للحصول على حكم ذاتي بعد العراق وسوريا[33].

كما يعتبر الملف الكردي أحد أسباب توتر العلاقات التركية – الأمريكية بعد تحول الولايات المتحدة إلى تقديم الدعم لوحدات حماية الشعب الكردية التي تبين لها بأنها البديل لمجموعات المعارضة السورية، حيث إعتبر المسؤولون الأمريكيون أن أفضل طريقة لمواجهة الإرهابيين تكمن بدعم ميليشيات الحماية الكردية[34]. وقد إنتقد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الولايات المتحدة بشأن دعمها للأكراد في سوريا وقال إن عدم إعترافها بحزب الإتحاد الديمقراطي جماعة إرهابية سيخلق" بركة من الدماء" بالمنطقة[35].

خاتمة:

من خلال ما تم التطرق في المحاور السابقة يمكن تلخيص النتائج المتوصل لها في النقاط الآتية:

1- يشكل كوادر حزب العدالة والتنمية إمتداد للعثمانيين الجدد الذين ظهروا في القرن التاسع عشر بالدولة العثمانية، والذين دعوا إلى الإحتذاء بالحياة السياسية في الغرب مع الحفاظ على الطابع الإسلامي للدولة.

2- يرتكز الدور الإستراتيجي لتركيا على مجموعة من الأسس تتمثل في العودة إلى العمق الإستراتيجي لها والمتمثل في المناطق التي كانت تحت نفوذ الخلافة العثمانية، بالإضافة إلى تصفير المشاكل مع الجيران وقد حققت هذه الخطوة نجاحا كبير إلى غاية عام 2011م مع بروز موجة الحراك الشعبي وخصوصا بسوريا، بالإضافة إلى الإعتماد على القوة الناعمة بدل الصلبة.

3- ينطلق الدور الإستراتيجي التركي بالشرق الاوسط من مجموعة من المحددات ذات البعد الجغرافي، بالإضافة إلى الإرث التاريخي المشترك بين تركيا ودول المنطقة، والإرتباط الحضاري من الناحية المجتمعية والثقافية والدينية.

4- شكلت الأزمة السورية تحدٍ كبير بالنسبة لتركيا ولأسسها الإستراتيجية التي تعتبر قاعدة الإستراتيجية التركية.

5- تعاظم سياسة تدوير الزوايا لدي تركيا بمقابل تراجع سياسة تصفير المشاكل، وهذا يبدو جليا من خلال المواقف التركية المتناقضة في الأزمة السورية التي تعود أساسا إلى الأبعاد والمآلات غير المتوقعة التي آلت إليها الأحداث في سوريا، بالإضافة إلى أن الأحداث أثبتت أن السياسة التركية ليست مستقلة، بل متأثرة بطبيعة التوازنات الدولية.

التهميش:

[1] رياض حسن محرم ، **العثمانيون الجدد و الخليفة رجب طيب أردوغان الأول**، محصل عليه من: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=394195، بتاريخ 22.12.2021، على الساعة16:00.

[2] محمد عصفور سلمان، **العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية و دور نامق كمال في بلورتها**، مجلة ديالى، العدد39 ، 2011. ص، ص(5 ، 7) محصل عليه من: http://humanmag.uodiyala.edu.iq/uploads/pdf/aadad/2011/a49/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF%20%D8%B9%D8%B5%D9%81%D9%88%D8%B120.pdf ، بتاريخ 22.12.2021، على الساعة16:00 .

[3] نفس المرجع. ص8.

[4] محمد عصفور سلمان، المرجع السابق. ص12.

[5] ميشال نوفل ، **عودة تركيا إلى الشرق**. لبنان : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010. ص7.

[6] كاهنة شاطري، **علاقة تركيا كقوة إقليمية بمختلف الدوائر الجيوسياسية في المتوسط دراسة في المحددات** ، الأهداف و الآفاق2003-2013 . مذكرة ماجستير(قسم العلوم السياسية ،كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، 2015). ص78.

[7] سعيد الحاج ، "محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا" ، متحصل عليه من موقع : http://alamatonline.com/2016/03/02/%D9%85%D8%AD%D8%AF%D8%AF%D8%A7%D8%AA، 22.12.2021، على الساعة16:00.

[8] سعيد الحاج ، المرجع السابق.

[9] الجمهورية التركية، وزارة الخارجية، سياسة صفر مشاكل في المرحلة الجديدة ، محصل عليه من موقع: http://www.mfa.gov.tr/zero-problems-in-a-new-era_ar.ar.mfa ، بتاريخ 22.12.2021، على الساعة16:00.

[10] المرجع نفسة.

[11] سعيد الحاج، المرجع السابق.

[12] Omer Taspinar،**Turkey Middle East Policiies Between Neo Otmanism and Kemalism** .Washington : Carnegie Endowment For International Peace ، 2008. p14. http://carnegieendowment.org/files/cmec10_taspinar_final.pdf.26.12.2021. at20:00

[13] محمد عبد العاطي التلولي ، "**السياسة الخارجية التركية تجاه سوريا 2002 – 2008** "، مذكرة ماجستير ، (جامعة الأزهر غزة ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،2011) . ص68 ، متحصل عليه من موقع : http://www.alazhar.edu.ps/Library/aattachedFile.asp?id_no=0044792، بتاريخ24.12.2021 ، على الساعة08:30.

[14] صايل فلاح مقداد السرحان ،" **أثر المحددات الجيو – سياسية على العلاقات التركية – العربية 2002 – 201**1 ". المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، العدد 02 ، 2013 . ص 225 .متحصل عليه من **موقع** https://journals.ju.edu.jo/JJSS/article/viewFile/4881/3320، بتاريخ24.12.2021 ، على الساعة08:30

TurquieSituationGénérale .http://www.axl.cefan.ulaval.ca/asie/turquie_1general.htm.12.11.2021.17:00.

[15] الدول المجاورة لتركيا " ، متحصل عليه من موقع : http://mawdoo3.com/الدول_المجاورة_لتركيا، بتاريخ24.12.2017 ، على الساعة08:30.

[16] أحمد داوود أوغلوا ، **العمق الاستراتيجي "موقع تركيا و دورها في الساحة الدولية**".تر: محمد جابر ثلجي ، طارق عبد الجليل . الدوحة : مركز الجزيرة للدراسات ، 2011. ص44.

[17] جليل عمر علي ، **السياسة الخارجية التركية حيال الشرق الأوسط 1991 – 2006**. السليمانية : مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، 2011.ص30 ، متحصل عليه من موقع : http://www.k-css.org/Detail.aspx?id=967&Action=2&linkId=45 ، بتاريخ24.12.2021 ، على الساعة08:30.

[18] محمد عبد العاطي التلولي ، المرجع السابق.ص60.

[19] أحمد داوود أوغلوا ، المرجع السابق . ص41.

[20] علي حسين باكير و آخرون ، **تركيا بين رهانات الداخل و تحديات الخارج** . لبنان : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010 .ص16، متحصل عليه من موقع :

https://drive.google.com/file/d/0B3hanQWTCi80Zm9qNU50a185S0k/view?usp=drive_web&pref=2&pli=1، بتاريخ24.12.2021 ، على الساعة08:30.

[21] " التقسيم العرقي في تركيا " ، متحصل عليه من موقع:

http://www.aljazeera.net/news/international/2007/10/8/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%B3%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9

%D8%B1%D9%82%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B1%D9%
83%D9%8A%D8%A7، بتاريخ24.12.2021 ، على الساعة08:30

[22] محمد عربي لادمي ، **التنافس التركي الإيراني على مناطق النفوذ في منطقة الشرق الاوسط 1996 – 2014**، مذكرة ماجستير ، (جامعة محمد خيضر بسكرة ،كلية الحقوق و العلوم السياسية قسم العلوم السياسية ، 2013 – 2014)

[23] نفس المرجع. ص75.

[24] جمال واكيم ، **صراع القوى الكبرى في سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011** ، ط 02 . بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، 2012 . ص 206

[25] "الطاقة محرك الصراع في منطقة الشرق الأوسط و آسيا"، متحصل عليه من موقع :
http://www.alarab.co.uk/?id=21493 بتاريخ 2021/03/03، على الساعة 14:00.

[26] المرجع نفسه.

[27] Patricia Carley، **Turkey Role In The Middle East** .United States :Institute Of Peace (S.D.P) . p 16 . https://www.usip.org/sites/default/files/pwks1.pdf . 29.12.2021.at 16 :00.

[28] سعيد الحاج، المرجع السابق.

[29] علي حسين باكير ، **الثورة السورية في المعادلة الايرانية التركية المأزق الحالي و السيناريوهات المتوقعة**، الدوحة: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات،2012 . ص – ص(14 – 15)، محصل عليه من موقع: https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/document_034293EA.pdf بتاريخ27.12.2021، على الساعة15:00 .

[30] حمد عبد ربه و آخرون ، **حال الأمة العربية 2012 – 2013** . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013. ص 106 .

[31] سعيد الحاج، المرجع السابق.

32 محمد خليل يوسف القدرة ، **تطور العلاقات السياسية التركية – السورية في ضوء المتغيرات الاقليمية و الدولية 2007 . 2012** ، مذكرة ماجستير ، (جامعة الأزهر غزة ،كلية الآداب و العلوم الانسانية ، 2013) . ص 133.محصل عليه من موقع:
file:///C:/Users/karim/Downloads/%C3%A3%C3%87%C3%بتاريخ29.12.2021 على الساعة:18:00 .

[33] " أكراد سوريا في الحسابات و السياسات الروسية"، محصل عليه من موقع :
http://rawabetcenter.com/archives/22865، بتاريخ 28.12.2021 ، على الساعة14:00 .

[34] محصل عليه من موقع:
https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201705101023944012-%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A

7%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8
%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%8A%D8%AD-
/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%B1%D8%A7%D8%AF
بتاريخ:29.12.2021، على الساعة18:00 .

[35] محصل عليه من موقع:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/02/160210_turkey_us_syria
بتاريخ:29.12.2021، على الساعة18:00 .